صنفان من التربية[1]

مقابلة بين التربية الالمانية والانكليزية

لا ينكر ان الحرب الحالية ستغير شؤون نوع الانسان وسيكون لها الحكم الفصل فيما نحسبهُ غاية الانسان في هذه الحياة وما يرمي اليهِ وما يعدهُ عين الكمال . ولم يعلم ما هو حكمها حتى الآن ولكن يجدر بنا ان نحاول معرفتهُ من الآن

ان في مقدمة ما نتوخاهُ الغايات التي يرمي التعليم والتربية اليها . فما يكون حكم الحرب في اساليب التعليم والتربية التي نجري عليها الآن هل يحكم انها صالحة لحياة الانسان منطبقة على ما يرمي اليهِ ويعدهُ عين الكمال . فان الذين يقولون أن الغرض منها تقوية الانسان واظهار مكنونات طبعهِ يؤيدون ذلك ويقولون ايضاً ان غرض التعليم والتربية هو اظهار ما تكنهُ النفس وما ينطوي عليهِ جسم الانسان حتى يعرف المتعلم نفسهُ حينما يصير حرًّا ليعيش حسب مقتضى طبعهِ او حسب مشيئة من يتسلط عليهِ . وهناك فئة تنكران من عمل المعلم الاهتمام بنمو جسم المتعلم وتقول ان مهمتهُ الوحيدة تعليم الصغير وتثقيف عقلهِ ولكنها تعترف بانهُ اذا حصر المعلم همهُ في ذلك ولم يطلع الفتى على مقتضيات جسمهِ بل تركهُ جاهلاً الى ان يبلغ اشدهُ في الثامنة عشرة او العشرين فانهُ يقع حينئذٍ في شرك الردى

ان النظام التعليمي في الامم يجب ان يكون مطابقاً لنظام معيشتها . ويجب ان يكون على رأس النظامين مبدأ واحد متسلط عليهما ونصب عينها غاية واحدة يطمحان اليها . وهذا قلما يكون . وليس في عصرنا الحاضر سوى امة واحدة اقتدت بسبارطة القديمة وطابقت بين نظام عيشتها ونظام تربيتها وهذه الامة هي الامة الالمانية . فان نظام التعليم والتربية في المانيا هو ما يجب ان يكون على الدوام اي عمل يدوم مدى العمر بلا فترة ولا انقطاع . ذلك ان الحكومة تراقب الفرد مراقبة دائمة لا تختلف عن مراقبة المعلم لتلميذهِ في المدرسة الا في درجتها . فمن يوم ولادتهِ الى ان يبلغ اشدهُ يوضع الرسن في رأسهِ ثم يخفف الضغط عنهُ الا في سني خدمتهِ العسكرية ولكن الرسن يبقى في رأسهِ حتى يوم موتهِ . وهذا هو السبب في كون الامة الالمانية قوية من بعض الوجوه الى حد انها لا تقاوَم

ولكن الجماعات كالافراد لها عيوب وفيها نقائص . فان وضعك نفسك تحت حكم قانون معلوم يختلف عن امتلاكك قانوناً يستحق ان تخضع لهُ . وشتان بين الامرين فان نظام

(١) من مقالة للسر هومز الذي كان أكبر مفتشي المدارس الابتدائية في انكلترا

التعليم الذي اتخذته المانيا اساساً لعيشتها لا يختلف في جوهره عن سائر النظامات في جميع العالم الذي نصفهُ بالتمدن. نظام التعليم متبع من عهد بعيد وقوامهُ ما يأتي: من جانب المعلم تأديب الزامي وتعليم لا يحتمل الجدل والنقض والاخذ والرد. ومن جانب التلميذ طاعة عمياء والعمل بما يؤمر. وترانا نحسب هذه الظواهر اموراً لا بدَّ منها وانها متأصلة في طبيعة التعليم لا مجال فيها للمؤاخذة والانتقاد. ولكن جميع الامم المتمدنة ما عدا المانيا لا تسمح لهذا النظام بان يسيطر على حياة رجالها عن علم منها بل تفكر فيهِ كنظام ملائم للصغار فاذا شبُّوا اطَّرحوهُ ظهريًّا كما تطرح سائر الاشياء الصبيانية. هذا ما يحدث ظاهراً ولكنهُ يبقى عاملاً مؤثراً في معايشهم ما داموا في قيد الحياة من غير ان يشعروا بذلك. والعادة ان يطرح ذلك النظام متى انتهت مدة تعليم الصغير المصطلح عليها اي متى بلغ سن ١٤ عند قوم او سن ١٦ عند قوم او سن ١٨ عند آخرين او بعد تلك السن عند غيرهم. وحينئذٍ يشرع الحدث يبني حياتهُ على اسس غير اسس تربيتهِ الاولى

وهنا مفرق الطرق والنقطة التي تختلف عندها امة عن امة. والمانيا تختلف عن سائر الامم في تمسكها بنظام التربية الاولى والبناء على الاسس القديمة. وقد بلغ من تعلقها بهذا النظام الاصطلاحي انها جعلتهُ اساساً لعيشة الافراد مدى العمر بل جعلت غايتهُ المبدأ الغالب على تربيتها القومية. وهذا ما لا يمكن لو لم يكن الالمان الين امم الارض عريكة واسلسها انقياداً

اما كون الالمان كذلك فامر لا ينكرهُ عارف. فهم يفعلون ما يقال لهم بلا تردد ولا تململ ولا ادنى خلل. ولكن روح هذه الطاعة تحملهم الى ابعد من ذلك فانهم يعتقدون ما يقال لهم. ويصدقون ما يطلب منهم. ويقولون ما يؤمرون بهِ بل ربما يشعرون بما يؤادون عليهِ من حب الوطن وحب البسط والفتح وحب الحرب وبغض انكلترا وغير ذلك من الشهوات

ورب سائل يسأل كيف تحولت طاعة الامة الالمانية عبوديةً وهي الامة التي اشتهرت فيما مضى بمحبة الحرية. وتعليل ذلك تاريخي لا جنسي. ففي هذا الباب كما في سائر الابواب نجد تأثير الوراثة ضعيفاً وتأثير التقليد عظيماً لأن التقليد يكاد يكون كل شيء. والمان هذا العصر فريسة تقليد نشأ في العصور المتوسطة واتخذ لهُ شكلاً ثابتاً لا يحول بعد حرب الثلاثين سنة (١). فان النظام الاقطاعي الذي صار بهِ الفلاح الالماني عبد ارباب الاطيان الذين بسطوا حمايتهم عليهِ فدان لهم سياسيًّا بعد ما كان خادم الامة والحكومة — هذا

(١) حرب اهلية المانية انتهت بمعاهدة وستفاليا الشهيرة التي عقدت سنة ١٦٤٨

النظام هدم الحرية الاهلية في المانيا كما هدمها في سائر البلاد. ولكنك بينا ترى غير الالمان استردوا ما فقدوا في هذا السبيل ترى الالمان وقد نالوا باعباء اربعة عوامل مخربة مهدمة: الاول تفرقهم شيعاً واسباطاً. والثاني النظام الاقطاعي. والثالث اضعاف الملك ورزوحه تحت حمل الامبراطورية الرومانية المقدسة. والرابع الشقاق الديني الذي تمام امره فانتهى بفظائع الحرب المذكورة. وكان على اثر هذه العوامل ان تقسمت البلاد ولا يات شتى مستقلة حتى استحال على القوم ان يتحدوا لاستعادة حقوقهم السياسية

فثورة مثل الثورة الفرنسوية لا يمكن ان تقوم في المانيا. وذلك لان الملك في فرنسا تمكن من التغلب على الاعيان. اما في المانيا فان الاعيان تغلبوا على الملك. وفي فرنسا كان حاكم واحد ووطن واحد وشعب واحد. اما في المانيا فكان ثلاث مئة حاكم اقتسموا الارض فيما بينهم. وفي فرنسا انفتح امام سخط الجمهور مجرى واحد عريض فاستطاع بذلك ان يقوم بحركة وطنية على دولة الاستبداد والظلم. اما في المانيا فان حركة وطنية مثل تلك كانت مستحيلة لان النهر الذي يجري في ٣٠٠ سيل لا يؤثر فيه سيل عرم. وفي فرنسا كان الملك بلا حول ولا قوة لمقاومة مشيئة شعب مستيقظ ولو صاح مرة بلهجة المستبد المزهو وقال انا المملكة[1]. اما في المانيا فان تجزئة الامة دلت على انها لم تكن قد انتبهت من سباتها وانه لم يكن لها مشيئة واحدة

ولما انتهت حرب الثلاثين سنة باتت المانيا لحماً على وضم وهي مقطعة ثلاث مئة قطعة او امارة مساحة كل منها من ٣٠ الف فدان الى ٣٠ الف ميل ويحكمها ثلاث مئة امير او شيخ كل منهم الآمر الناهي في ارضه. وقد رضي القوم بهذه الحالة بلا اعتراض ولا تذمر حتى باتت الطاعة العمياء المحور الذي يدور عليه خلق الامة اجمالاً. وفي خلال تلك الحرب باع بعض الامراء رجالهم لفردريك الكبير كما تباع السائمة. فرجال يسكتون على مثل هذه المعاملة جديرون بان يسكتوا على كل شيء

غير ان الامراء لم يكونوا كلهم من طراز واحد. فمنهم امراء مستبدون استبداداً للخير كانوا حماة العلم والادب والفنون فقام بين رعيتهم رجال عظام في الشعر والفكر والموسيقى والعلم لا في السياسة والحرب. وفيهم امراء اصحاب مطامع عالية أوتوا مواهب حربية ووجدوا في رعيتهم المستكينة لم نواة يبنون عليها جيشاً عظيم الدربة. فلما ان جهزوا انفسهم بمثل ذلك الجيش اندفعوا الى التبسط والفتوح بقوة السلاح

(١) هو الملك لويس الرابع عشر

وقد قيض لالمانيا ان يطيعها امراء الطراز الثاني بطابعهم و يكوّدها عبيدهم لان الثانين يعطونها ما لا يعطيه الاولون من الاتحاد السياسي والقوة المادية اللذين يمكنانها من الوقوف في وجه اعدائها . وخلاصة القول ان المانيا اصبحت بروسية اذ طبعتها بروسيا بطابعها والاتحاد الذي بلغته انما اكرهت عليه اكراهاً فهو لذلك صناعي* مادي* عسكري* لا اختياري* ولا روحاني* ولا سياسي* صادق*

من اقوال الالمان ان البلد الفلاني* له جيش اما المانيا فجيش له بلد . ومن اقوالهم ان بروسيا من صنعة الجيش والمانيا من صنعة بروسيا . كذلك يقولون ان الجيش في المانيا هو الامة والامة هي الجيش . فهذه الاقوال تدل على حقيقة كبيرة الشأن وهي ان المانيا دون سائر البلاد بلد حربي* محض . فالطبقة المحكومة قابلة للتدريب العسكري نظامية في هذا السبيل طاعة عمياء ما يعيدها طاعة . والطبقة الحاكمة مؤلفة من رجال كلهم معدون للجيش مجبولون على الدربة والنظام من الفطرة . وقد تجد بين الامم امة حربية بطبعها مثل الامة الالمانية ولكنك لا تجد امة جرى النظام العسكري في مفاصلها مجراه في الالمان . ولا امة نظامها الاجتماعي عسكري* في جوهره مثلها . ولا امة غيرها وظيفة ملكها الاولى قيادة الجيش والثانية حكم البلاد والعباد .

فالجيش في المانيا مدرسة كبيرة يتخرج منها معظم الذكور ان لم يكن كلهم . وفي هذه المدرسة ترى نظام التربية الاصطلاحي ماثلاً على اشد مظاهره . فليس في المدارس الاخرى شبه لما يرى في هذه المدرسة من النظام الشديد والتعليم الشبيه بالتنزل والطاعة الميكانيكية وتلقن ما يوحي به الرؤساء بلا سؤال ولا جدال . وليس الجيش بالمدرسة الوحيدة التي يدخلها الالماني . بل هناك المدارس الملكية والهيئة فيها تزداد شدة سنة فسنة . وليست عيشة الالماني في عمله سوى النتمة الطبيعية لعيشته طفلاً وجندياً . ثم ان النظام بات اخف وطأة عليه واقل شدة مما كان في المدرسة والثكنة ولكنه ما زال ثقيلاً وشديداً . فان حركات الالماني في رواحه ومجيئه تدار و يؤمر بها الى حد لا يحتمل في بلد آخر . و يجد الاوامر والنواهي في وجهه اينما ذهب وكيفما انقلب . وموظف الحكومة والبوليس قائمان مقام المعلم في المدرسة والضابط في الثكنة . وليس بين هذه الحقبة من العمر و بين سابقتيها فرق اساسي*

لالمانيا دين علينا لانها تضيق على رجالها في النظام وتقيدهم بقيود لا يقيد بها في سائر البلاد الا الصغار والاقناع . وعملها هذا بعد تجربة عظيمة الشأن . فقد وقع في

انفسنا نحن الانكليز ان نظام التربية المعمول به عندنا هو النظام الوحيد الملائم للصغار والبالغين حتى فقدنا قوة نقدهِ الصحيح . وحيثما نقدناهُ كان النقد موجهاً الى عرَضهِ دون جوهرهِ

ولننظر الآن الى نتائج استبداد الالمان في تربيتهم فنقول انها ثلاث : الاولى جعل نظام العيشة ميكانيكيًّا . والثانية جعلهُ صوريًّا ظاهريًّا . والثالثة اضعاف الارادة التي هي قوام الحياة وروحها

اما عن النتيجة الاولى فنقول : اننا اذا وصفنا الجيش الالماني بانهُ آلة محكمة نريد بذلك ان المحرك لهُ في جملتهِ وفي تفاصيلهِ ارادة واحدة . فان اهل الشأن يرمون الى تنسيق المعيشة بقواعد واصول وخطط واوامر ونواهٍ وما اشبه ذلك وغايتهم اخماد الحرية التي من شأنها ان تدخل في سلوك الفرد اشياء لا يحسب حسابها ولا تقدَّر عواقبها . ونتيجة هذا التضييق اماتة الشعور الادبي والعقلي . ونريد بالشعور في هذا المقام القوة على توليد حواس او وظائف يدرك بها المرء ما يجري حولهُ اجابة لدواعي الاختبار . وهذه القوة موجودة في كل منّا يستخدمها لتسديد خطاهُ في دار هذا العمر كما يستخدم حواسهُ الخمس لارشادهِ في العالم المادي

ومن الاعتراضات على هذا الاسلوب اي الافراط في الاعتماد على القواعد الموضوعة والخطط المرسومة انها لا تستطيع البلوغ الى اسرار الطبيعة ومناحيها ولا يصل الى ذلك الاَّ سليقة الانسان . واعظم من هذا الاعتراض ان الاعتماد على الرسوم والقواعد الموضوعة يكفينا مؤونة استخدام حواسنا الظاهرة والباطنة فاما ان تبيت اثرية واما ان تموت في المهد . وتكون النتيجة احلال يد الصناعة محل الطبيعة بحقائقها الناصعة . واعلم ان التضييق الذي يضعف الشعور الادبي يفضي الى موت ذلك الشعور او فقد الاحساس في الضعفاء والى التوحش في الاقوياء وهذا هو سبب توحش الالمان في ميدان الحرب وكثرة جرائمهم في المانيا نفسها . هذه احكام شديدة في الفاظ ثقيلة ولكنني لا اتردد فيها البتة . لقد طالما سمعنا عن توحش الجندي الالماني وقلما سمعنا عن إجرام الالماني العادي في حين ان الثاني اعظم شأناً واكثر دلالة من الاول . ثم ان احصاءات الحكومة الالمانية نفسها تؤيد ازدياد الجرائم في البلاد . اما فظائع الجنود فلا اسهل من انكارها مما تكن الدلائل عليها وجيهة . فان امثلة جرَح الناس تعمداً والسطو عليهم هي في المانيا ١٢٠ ضعف ما هي في انكلترا . وجرائم العار كما يسميها الالمان اربعون ضعف ما هي في انكلترا . وفي سنة ١٩١٢ ارتكب الاحداث والشبان الالمان الذين بين سن ١٢ و١٨ من حوادث القتل عمداً او خطأً اكثر مما ارتكبهُ

اعمال انكلترا كلها . ومن حوادث الجرح والسطو سبعة اضعاف ما ارتكب في انكلترا . ومن جرائم العار اكثر من اربعة اضعاف

هذا من حيث اماتة الشعور الادبي اما اماتة الشعور العقلي فتؤدي الى الكسل في ضعفاء العقول والى الصلف والدعوى فيمن هو اعلى منهم منزلة . ففي الجيش الالماني حيث الضغط والتضييق على اشدها يرمي اركان الحرب الى تحويل الجندي آلة صماء عمياء في يد رئيسه . قال احد مشاهير الكتاب العسكريين « ان من عيوب التدريب العسكري في الجيش الالماني كون الجندي لا يمكن منه ابداء ما عنده من قوة الابتكار . فلا يسمح له في حال من الاحوال ان يعمل لنفسه او يفكر لنفسه وانما جيء به الى الجيش ليعمل ما يؤمر به » . وسبب ذلك واضح وهو انه كلما كان الجيش اشبه بالآلات قل المجال امام جنوده لابداء استقلال فكرهم وذكائهم وقوة ابتكارهم . ولو كان مسمار او لولب في آلة يفكر ويعمل لنفسه مستقلاً منفرداً لاختل سير تلك الآلة وفقد نظامها . وهذا ما يجري ايضاً في المعيشة المدنية اي في حياة الالمان العادية خارج الجيش . فان الضغط الذي يتعرض له الالماني المدني هو مثل الضغط الذي يتعرض له العسكري نوعاً وان اختلفا درجة

* * *

واما عن الثانية فنقول أن حكم اهل السلطة يحل محل حكم الاختبار والطبيعة . اي ان ما يقدره الضابط من حيث كفاءة مرؤوسه والمعلم من حيث مقدرة تلميذه يقضي حكماً باتاً لا يقبل نقضاً ولا ابراماً . وشهادة المتحن هي التي تقدر مقام الانسان وكفاءته ، وترى فوائم فرق المدرسة ونياشين الاستحقاق والجوائز والمداليات والالقاب والدرجات تتعارض بين ظواهر الوجود وحقائقه . فلا عجب اذا فقد المرء في كنف دولة مثل هذه ادراك الحقائق كما هي اذ بيت وهمه الاول ما يشعر به لا ما هو عليه حقيقة

اننا نعتقد ان اعمالنا ناقصة ووراءها غاية كاملة يجب ان نسعى دواماً اليها فاذا جعلت الغاية التي نسعى اليها ارضاء اهل السلطة والعمل حسب اوامرهم لم يبق امام المرء غاية اخرى سامية غير متناهية يسعى اليها بل تقوم الحدود والفروض الزمنية مقام امالي النفس ومطالبها

وعواقب التضييق على امالي النفس الى هذا الحد وخيمة جداً . فان الذي يعيش لاغراض توزن بموازين الناس فانما يعيش لاغراض صغيرة محدودة . وهذه هي الانانية بعينها . وهي اول الرذيلة وآخرها . واذا فقد المرء امالي النفس وتطلب الكمال الحقيقي وجد

السعي الى تحقيق امانيهِ لقد ضاع مطلبهُ الاعظم وتوقف عمل الارتقاء فيهِ وبدأ عمل الانحطاط والاضمحلال

وليس بين الممالك مملكة مثل المانيا من حيث شدة العناية بالمظاهر الخارجية تحت سيطرة اهل السلطة . ومن حيث شدة الشعور بالفرق بين طبقة وطبقة . ومن حيث المغالاة في تأليه الجيش . قال بسمرك « ان الامة الالمانية قبيلة من صف الضباط وغرض كل رجل منها الحصول على شرائط يضعها على كتفهِ . وكل موظف من موظفي الحكومة لهُ من قوة الاعتماد على نفسهِ ما يقابل درجتهُ في وظيفتهِ . والشذوذ عن هذه القاعدة محمودة لكنها نادرة » . وقد بلغ من شغف الالماني بالالقاب واعتدادهِ بالشهرة الظاهرة دون الحقيقية انك اذا اردت ان ترضيهُ بعد ان تغضبهُ فاعطهِ لقباً فوق لقبهِ . فاذا دخل الالماني مطعماً واراد مناداة الخادم قال في ندائهِ لهُ « هرأوبر » اي « يا رئيس الخدم » فيأتيهِ منقاداً واما اذا لم يعطهِ الرآسة حسب في ذلك اهانة لهُ فلزم مكانهُ ولم يلبِّ النداء . واذا شئت ارضاء الالماني ما من العامة فنادهِ بلقب « فون » في اول اسمهِ . او ارضاء تلميذ مرشح لمنصب في الحكومة فنادهِ بلقب يدل على انهُ جاز الامتحانات اللازمة للحصول على ذلك المنصب . او رمت اخذ شيء من الالماني فأيسر السبل الى ذلك واخصرها ان تقول لهُ « يا عزيزي الكونت » . وليست هذه الامور الصبيانية من احتكار الالمان فانها شائعة في كل مكان ولكن للالمان السهم الاوفر منها

ولما كانت هذه هي منزلة الالماني من حكومتهِ وكانت الحكومة هي المفكرة وكان هو منفذ فكرتها فلا بدع اذا رأيناها تتحكم في الكنيسة والصحافة والجامعة والمدرسة وبواسطتها تبلغ الناس ما تريد منهم ان يفكروا فيهِ ويعتقدوهُ ويقولوهُ . وشرّ ما هنالك ان الذي يؤمَر بما يفكّر ويعتقد ويقول لا يلبث طويلاً ان يعدّ تلك الافكار والاعتقادات والاقوال صادرة منهُ لا انهُ مأمور بها ومتى بلغ امرؤ هذا الحد — حدّ الاعتقاد بان ما أكره عليهِ من الخارج صادر منهُ من الداخل — كان تسلط اهل السلطة على اعماق نفسهِ تاماً وتحكمهم مبيناً

***

واما عن الثالثة فنقول ان السلطة التي تجعل الفرد آلة ميكانيكية وتعتني بظاهرهِ اكثر مما بباطنهِ تضعف قوة ارادتهِ . فان التضييق الذي يجعل الانسان آلة بيد غيرهِ يحركها

كيفما شاء بضعف ارادته بالضرورة . ويعبّر عن قاعدة التربية الالمانية بكلمات في قولك « افعل ما اقول لك » . وهذا ما يقوله المعلم لتلميذه والضابط لجنديه والرئيس لمرؤوسيه والحكومة للامة . وهو ما تريد الامة الالمانية ان تقوله لسائر امم الدنيا . وغني عن البيان ما في هذا القول من الريبة في الطبيعة البشرية والثقة العمياء بالنفس والصلف وعدم التسامح وفقدان روح العطف والمروءة . ونحن نشكر المانيا لانها ابانت لنا انه اذا ادارت الهيئة الحاكمة زمام افكار الهيئة المحكومة وحصرت في يدها كل قوة فكانت هي البادئة بكل مشروع والمنفذة له فبشر الهيئة المحكومة بذبولها وموتها بعد قطع كل صلة بينها وبين مركز حياة الانسانية والطبيعة كما يذبل الغصن المقطوع من الشجرة

ان النتيجة المادية لهذه الحرب لا تزال مجهولة غير اكيدة ولكن نتيجتها الادبية ظهرت من زمان طويل فان المانيا قضت على نفسها بنفسها وسعت الى حتفها بظلفها اذ اضاعت العالمين غايتها من هذه الحياة الدنيا .

هذا فيما يخص الالمان من حيث آرائهم في التربية والحياة . اما نحن الانكليز فليس لنا آراء محدودة . وان كان لنا رأي في التربية فهو لا يختلف كثيراً عن رأي الالمان . اما رأينا في الحياة فيختلف عن رأيهم بل يناقضه كل المناقضة . وعندنا ان قاعدة « افعل ما اقول لك » يجب العمل بها في تربية الاطفال وتعليم الاولاد في المدارس حتى اذا خرجوا منها نحت هذه القاعدة وقامت مكانها قاعدة اخرى وهي « عش ودع الناس يعيشون » . وليست هذه القاعدة بنافية للاولى ولكنها تشتمل على فلسفة عميقة . ولما وضعناها واتخذناها شعاراً لنا بلغنا بها حقيقة عظيمة وجوهرية ولبيان ذلك نقول

ان الانكليزي رجل مستقل في صفاته واخلاقه . فهو يكره ان يجبر وينهى ويستنكر ان يتعرض احد لشؤونه الخاصة ويحسب نفسه حرًّا في اختيار ما يريد من الاعمال كأن ذلك حق من حقوقه . وكل رجل مستقل في طبعه يرى عاجلاً او آجلاً انه اذا شاء الاحتفاظ بذلك الاستقلال وجب عليه ان يرعى استقلال غيره اي انه يجب ان يعيش ويترك الغير يعيشون . واذا لم يفعل ذلك اضطر ان يقاتل على الدوام دفاعاً عن نفسه وعاقبة ذلك فوضى المجتمع

ولا ريب ان الامة الانكليزية اكثر الامم انقياداً لغرائزها فلا بدع اذا تركت هذه الغرائز تعيّن لها الطريقة التي تعيش بها . وبعملها هذا اختارت آمن السبل وافضل الهداة اليه وهي الغرائز الطبيعية . ونحن مدينون لهذا المبدإ الذي جرينا عليه في حياتنا السياسية

واليهِ يتسبب اتساع سلطتنا . ولو كان شعارنا « افعل ما اقول لك » لتمزقت هذه السلطنة شماطيط من زمان طويل . ونحن مدينون لهُ ايضاً في انهُ لما نشبت الحرب الحالية التفّت تلك السلطنة حولنا كما لو كنّا جميعاً امة واحدة . وهو ايضاً سبب انعطاف الامم المحايدة كلها تقريباً علينا . ومصدر افضل ما يرى في حياتنا الاجتماعية والسياسية اريد بهِ ميلنا الى حلّ اسباب الشقاق بالتسوية مما يجعل التقدم السياسي ممكناً . والتسامح الذي يشفي جميع الجروح ويزيل تدبها . وروح الالفة والمزاملة التي تربط جميع الطبقات والاحزاب بربط الاحياء عند الانتضاء وتزيل الحدود القديمة التي تفصل طبقة عن طبقة والتي ورثناها من العهد الاقطاعي في الاعصر المظلمة

اذا شئنا ان نعيش فعلاً فلا غنى لنا عن ترك غيرنا يعيشون مثلنا . فان من يعتدي على الحرية تعمداً يحبس نفسهُ ضمن الجدران التي بناها لغيرهِ . والذي يترك الناس يعيشون يوسّع دائرة حياتهِ بالخروج من نفسهِ والاندماج في نفس غيرهِ

فمجال التقدم امامنا وسيع لكن تقدمنا لا يتحقق ما لم نطابق بين رأينا في التربية ورأينا في المعيشة . وهذه هي نقطة ضعفنا كامة بازاء المانيا . فان رأي الالمان في التربية يطابق رأيهم في المعيشة من كل وجه . اما نحن فرأينا في التربية اذا صح ان لنا رأياً فيها مناقضٌ لرأينا في المعيشة . فاننا نؤيد التربية الالمانية ونحن نربي اولادنا ونفكر المعيشة الالمانية في عيشتنا . وقوة المانيا قائمة بانها تسمُ كل ولد من اولادها بميسم فلسفتها المعيشية من المهد الى اللحد . اما نحن فبرآء بين وهذه هي نقطة الضعف فينا وان كانت هذه الحرب قد حكمت على المانيا لاتباعها نموذجاً كاذباً في هذه الحياة فستحكم علينا لاننا حاولنا ان نعيش في ظلّ نموذجين متناقضين لا يمكن التوفيق بينهما

لنسأل انفسنا هذا السؤال: هل نريد تطبيق رأينا في الحياة على رأينا في التربية على ما في هذا من اكراه واستبداد . والاّ فان كنّا نريد من ذلك فرقاً فلا بدّ لنا من الامر الآخر وهو ان نجعل رأينا في التربية مطابقاً لرأينا في المعيشة . وهذه القضية من اعقد القضايا واعضلها وحلّها لا يكون قبل تعاقب اجيال كثيرة . فلنبدأ بعمل اراهُ لازماً كل اللزوم وهو ان نسمح للاولاد بان يترك بعضهم بعضاً يعيش . وبعبارة اخرى لنعطهم حياة اجتماعية فيها من من الحرية والاستقلال اكثر مما يتمتعون بهِ الآن ولكن ذلك اساساً يبنى عليهِ في المستقبل لعلّ المرافقة والمزاملة تنزعان منا بقايا عيشتنا الاقطاعية القديمة

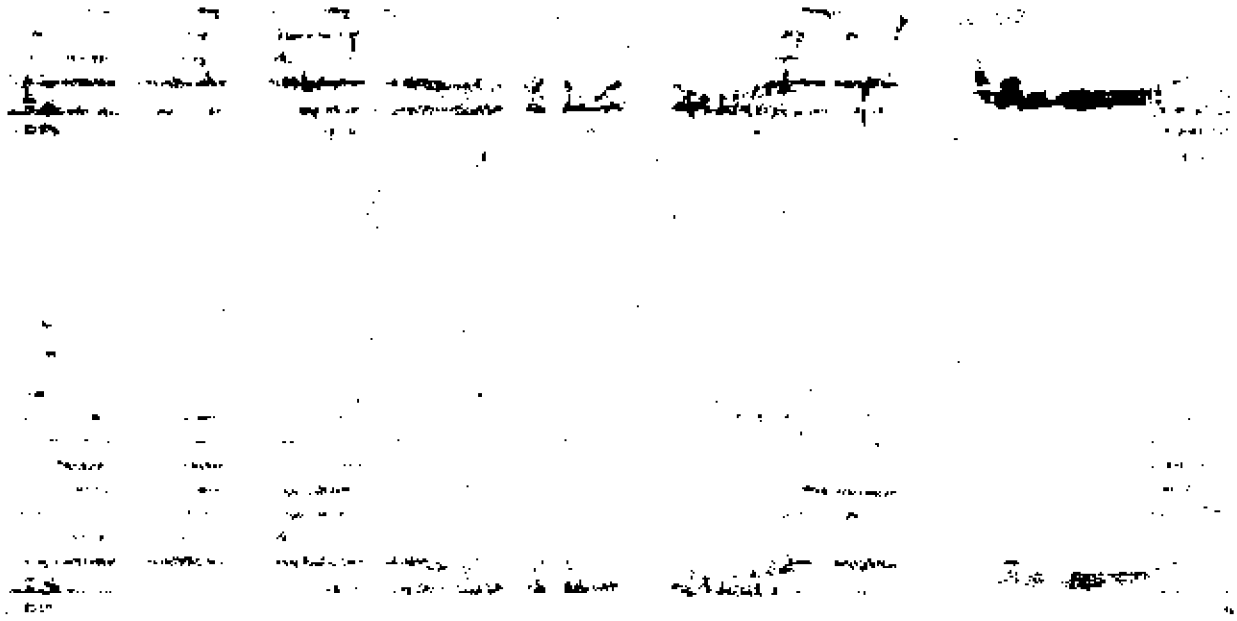

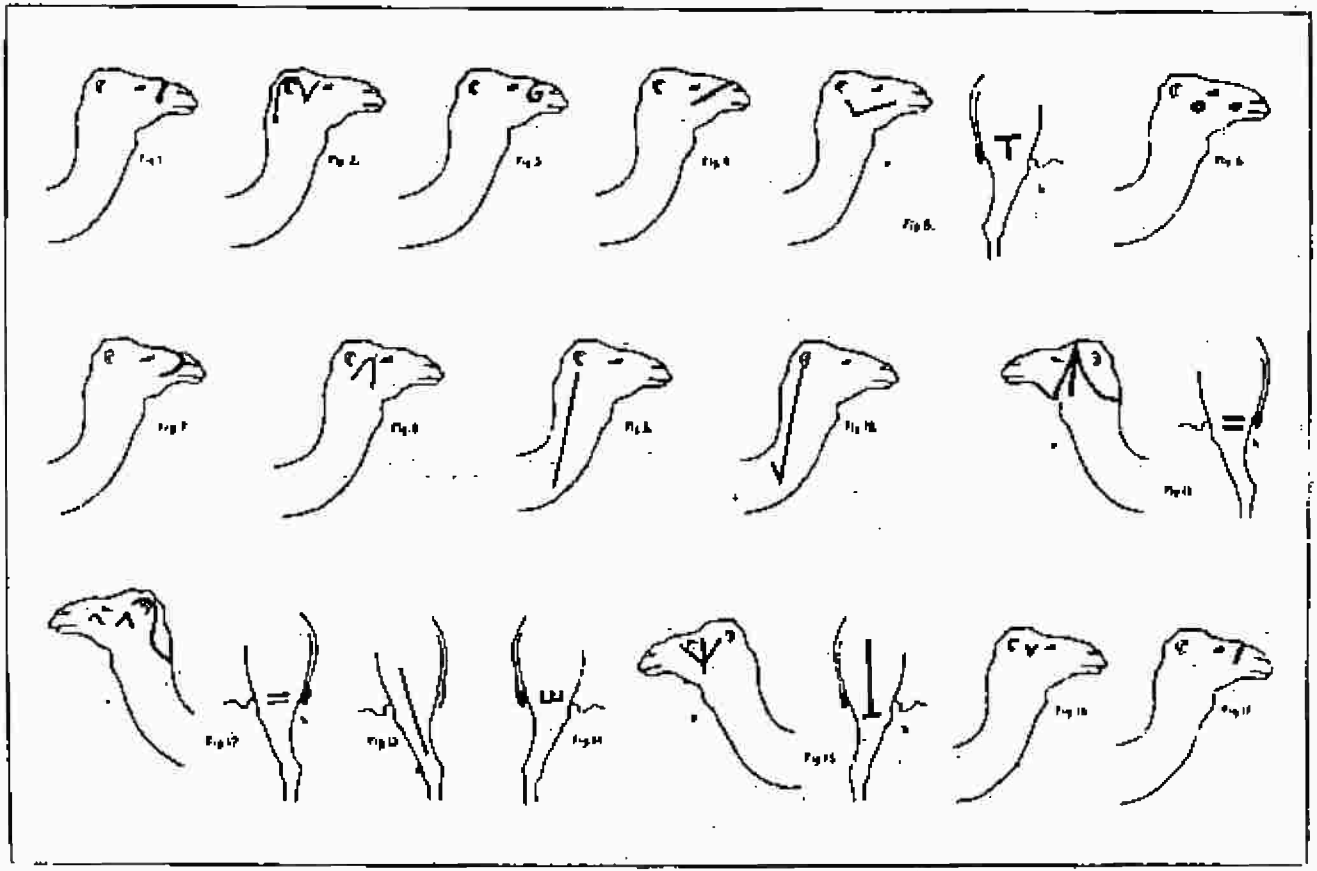

منشطف دسمبر ١٩١٥

امام الصفحة ٥٥١